

بسم الله الرحمن الرحيم

مقومات وعناصر الحرب الناعمة

د. علي الحاج حسن

(استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية)

● مقدمة

يعتبر مصطلح "الحرب الناعمة" واحداً من المصطلحات التي شاع استعمالها في الآونة الاخيرة حيث تم تداوله بشكل واسع بعد الانتخابات الرئاسية الايرانية عام 2009 وذلك بعد ان ذكره الامام القائد (دام ظله) في خطابه للدلالة على واحد من المجالات التي تستهدف الجمهورية الاسلامية من خلاله.

والواقع ان المصطلح بدأ بالرواج مع الكاتب الامريكي جوزيف ناي الذي قدم في العام 2004 كتابه الشهير " القوة الناعمة" وكان قد مهّد له قبل ذلك بكتابين الاول كتاب "مفارقة القوة" الذي صدر عام 1991 بعد سقوط الاتحاد السوفياتي والثاني " ملزمون بالقيادة" الذي صدر عام 2001 .

لو عدنا الى الظروف الحقيقية التي دفعت جوزيف ناي¹ لاصدار كتبه هذه لوجدنا انها جاءت بعد فترة الحرب الباردة بين امريكا والاتحاد السوفياتي [مفارقة القوة] وبعد أحداث ما يسمى بالحادي عشر من ايلول [ملزمون بالقيادة] وكذلك بعد الغزو الامريكي لأفغانستان والعراق [القوة الناعمة] إذ ان هذه التجارب الثلاث اوضحت للامريكي ان التوسل بالقوة العسكرية لم يكن مفيداً إلى الحدود التي يريدونها ، لا بل هناك اساليب ووسائل يمكن اتباعها تؤدي الى نتائج كبيرة ولا تتطلب الكثير من الامكانيات والجهود والخسائر والاموال... وعليه فالقوة الناعمة من

¹ - تجدر الإشارة الى ان جوزيف ناي واحد من الذين تولو مسؤوليات متعددة في الولايات المتحدة ، فهو كان يشغل منصب نائب وزى الدفاع في عهد كلينتون ومدير مجلس المخابرات الوطني وعميد كلية الدراسات الحكومية في جامعة هارفرد.

وجهة نظر جوزيف ناي هي : " القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الارغام أو دفع الاموال . وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما ، ومثله السياسية وسياساته فعندما تبدو سياستنا مشروعة في عيون الآخرين تتسع قوتنا الناعمة..."²

يتضح من هذا التعريف ان العناصر الاساسية المكونة للحرب الناعمة او القوة الناعمة هي الاساليب والوسائل الجذابة التي تعتمد على ثقافة معينة فتتمكن من تشكل القدوة الجاذبة للآخرين . وهذا يعني ان استبدال ما هو موجود عند الغير متوقف على مقدار المهارة والجاذبية التي يظهرها الطرف الاول . فالمستهدف يختار بنفسه ما انتجه الخصم من دون ان يلجأ ذاك الخصم الى الإكراه والإجبار.

سنحاول في هذا المقال الاطلالة على الحرب الناعمة باحثين عن اهم عناصرها ومقوماتها وواجه حاجة اليها مشيرين الى مصادر القوة الناعمة الامريكية ومن ثم نبحت في العناصر المشتركة بين القوة الناعمة والعملة .

● عناصر ومقومات القوة الناعمة

تقوم القوة الناعمة على مجموعة من العناصر والمقومات تعتبر الاساس في وجودها اذ بدونها لا يمكن لطرف ما ممارسة حرب ناعمة على الآخرين . وهذا يعني ان كل من اراد ممارسة هذه الحرب لا بد ان تتوافر لديه هذه المقومات والعناصر.

1- القيم

تشكل القيم العنصر الاساس في القوة الناعمة . والقيم هي المبادئ التي تشكل ماهية وهوية الفرد والمجموعة ، اذ بدونها يبدو الفرد وكذا الجماعة فاقداً للقيمة الحقيقية . والقيم هي الامور التي يفتخر بها الافراد والجماعات كونها تشكل قناعاتهم وخلفياتهم السوكية ... وعلى هذا الاساس فإذا كانت الحرب الناعمة تقوم على اساس الجاذبية في الطرح ، فكلما كانت القيم جاذبة كانت محل تأثير في الآخرين . ومن هذا المنطلق نفهم الكثير من المحاولات التي دأب الامريكي على اتباعها والتي تتمثل في الحديث عن قيمه الفردية والجماعية وعرضها على المجتمعات الفاقدة لها ، بدءاً من التحرر الى الديمقراطية والليبرالية وما شابه ذلك.

² - القوة الناعمة ، جوزيف ناي ، ترجمة توفيق الجبرمي ، دار العبيكان ، ص 12

مما لا شك فيه ان الامة التي تشعر بان قيم الآخرين اكثر جاذبية من قيمها فستعمل من دون شك على استبدالها بها.

والقيم عنوان واسع جداً إلا ان الابرز فيها هو البعد الثقافي وبعبارة اخرى ان لكل جماعة ، مجموعة من القيم الثقافية ، والاخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية وغيرها... وهنا المطلوب من الذي يمارس الحرب الناعمة ان يُحسن اظهار قيمه ويبين تفوقها على قيم الآخرين عند ذلك يتحرك الآخرون نحوها بانفسهم ويطلبونها بارادتهم من دون حاجة الى الإكراه والإجبار وما شابه ذلك . ولعل القيم الثقافية هي اكثر الامور حساسية على مستوى التأثير على الآخرين . ومن هنا نفهم المحاولات الامريكية التي تشجع هجرة الطلاب للدراسة فيها ، اذ يصبح هؤلاء بعد المدة التي يقضونها ، مثقفين بتلك الثقافة معجبين بها طالبين لها ورافضين لثقافتهم وقيمهم . وفي هذا الاطار يقول احد الباحثين : إن عشرات الملايين من سكان هذا الكوكب يحلمون بان يصبحوا مواطنين اميركيين ليقينهم بان امريكا هي بامتياز بلد الحرية الفردية وتوافر الفرص والابداع التكنولوجي المستمر ، والحراك المهني غير المحدود والترقي الاجتماعي القادر على تجاوز الفروقات والحوازر التقليدية .³

ويعتمد هذا الامر بشكل اساس على ما تجذّر ثقافياً وفكرياً لدى هؤلاء الافراد وبما حملوه من قيم وجدوها في الغرب وامريكا ولم يتسنى لهم رؤيتها في بلدانهم .

ولو عدنا الى صاحب فكرة القوة الناعمة لوجدناه يعول وبشكل كبير جداً على مسألة القيم حيث يعتبر ان القوة الناعمة تنشأ الى حدود كبيرة من القيم التي تعبر عنها منظمة او بلد ما في ثقافته وفي الامثلة التي تضر بها ممارساته الداخلية والسياسية ، وفي الطريقة التي يعالج بها علاقته مع الآخرين .⁴ ويبين ان الثقافة هي المكون الاول والاساس للقيم فيعتبرها الامر الذي يخلق معنى للمجتمع . وللثقافة مظاهر متعددة كالادب والفن والتعليم⁵...

وفي اطار القيم الثقافية والفكرية يمكن الحديث ايضاً عن دور التقدم العلمي والتقني والبناء الاجتماعي الحديث في ممارسة الحرب الناعمة . والتقدم العلمي في مختلف المجالات كان

³ - اميركا والعالم ، غسان سلامة، دار النهار ، الطبعة الاولى 2005 ، ص 11

⁴ - القوة الناعمة ، ص 28

⁵ - المصدر نفسه ، 32

محط أنظار الشعوب والأمم البعيدة نوعاً ما عنه ، حيث يخلق لديها صورة عن الآخر تجعله في مصاف المتقدمين والمتطورين والعمالقة الذين يجب اللجوء بهم . ولعل داء عدم الثقة بالنفس الذي أصيب به بعض المجتمعات ناشئ من التطلع الى تلك الانجازات العلمية على انها لا تصدر إلا من مجتمع يمتلك خصائص معينة ، وإذا رغبتنا في الوصول اليها والحصول عليها فلا بد ان نكون مجتمعاً شبيهاً بهم .

من جهة اخرى يعتبر البناء الاجتماعي واحداً من العناصر الاساسية للحرب الناعمة اذ ان الشعوب تنشئ قيماً اجتماعية تتلاءم مع شخصيتها وافكارها إلا ان القرن الاخير يبين ان الكثير من القيم الاجتماعية قد تتغير تبعاً لتغير بعض المعطيات الاخرى. فاذا لم يتمكن الأمريكي على سبيل المثال من الترويج لقيمه الاجتماعية ولم يتمكن من جعل الشعوب الاخرى تتقبل فكرة التفكك العائلي فانه جعل الامر واقعا وحقيقة بعد ان ربط البناء العائلي والأسري بالثورة التكنولوجية والصناعية الحديثة وذلك عبر الدعوة والعمل من اجل جعل الأفراد والجماعات تتحرك في اتجاه الانسجام الكامل مع التكنولوجيا وهذا يتطلب بشكل او بآخر الابتعاد شيئاً ما من القيم الاجتماعية.

2- الشباب

صحيح ان كافة افراد المجتمع يقعون تحت تأثير الحرب الناعمة فيقبل البعض قيم الآخرين ويرفضها آخرون إلا ان عنصر الشباب هو العنصر الاساس في الحرب الناعمة وذلك لما يتمتع به هؤلاء من بناء فكري ونظري وثقافي وبسبب ما يحملونه من قيم واعتقادات . فاذا كان الشاب في بداية طريق تشكل شخصيته واكتساب هويته فليس من السهل اقناعه بثقافة وقيم الآباء والاجداد اذا ما وجدت ثقافة وقيم اخرى يمكنها ان تشغل حيزاً من تفكيره وسلوكه وارضاء متطلباته.

وبعبارة اخرى الشباب اكثر استعداداً لقبول قيم الآخرين اكثر من غيرهم للأسباب التي تقدمت ، ومن هنا فالذي يمارس حرباً ناعمة على الآخرين سيكون ناجحاً فيما لو ركز اهتمامه على عنصر الشباب . يشير الامام القائد الى موضوع الشباب ودورهم في الحرب

الناعمة ويقول : "الشباب الجامعيون هم ضباط الحرب الناعمة" ⁶ . طبعاً هؤلاء قد يكونون وسيلة لوجود الحرب الناعمة وتكريسها حقيقة وقد يكونون وسائل لمواجهة هذه الحرب ودفعها . وكما يمكن جعل الشاب يقتنع وينجذب الى الآخرين يمكنه ان يكون محصناً امام ذلك.

وفي هذا الاطار يقول جارد كوهين رئيس قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الامريكية : ان الشباب والنساء في الشرق الاوسط قد اصبحوا ناضجين لتقبل تأثيرات السياسات والافكار الامريكية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا الاتصال والاعلام ⁷ . وهنا يبرز الدور المعول على الشباب في تقبل ما يريده الاعداء.

3- وسائل الاعلام والدعاية...

تشكل وسائل الاعلام على اختلافها الواسطة الاساسية لنقل القيم الى الطرف المستهدف ، لا بل تلعب وسائل الاعلام على اختلاف انواعها واشكالها الدور الاساس في جعل القيمة ذات جاذبية عند الآخرين . وللوقوف على خطورة وسائل الاعلام يكفي الرجوع الى احدى عبارات الامام القائد (دام ظله) حيث يقول : " ان وسائل الاعلام لا تقل خطورة عن القنبلة الذرية من حيث قدرتها التدميرية" ⁸

واذا كان عالم اليوم يتجه نحو الاعلام والمسلسلات والافلام والايترنت ووسائل التواصل التي يمكنها ان تقدم اقبح الصور على انها الاجمل ، فان الخطر الذي يفرض نفسه على المجتمعات وقيمها يصبح جدياً وكبيراً .

وتكمن الخطورة في ان الاجهزة الاعلامية والاتصالية تقدم للفرد انساقاً معرفية وثقافية وتربوية تعمل على ايجاد : التششت والتشويش واللايقين عند الآخرين وكلها امور تدعو الى الابتعاد عن الحقائق والوقائع . وقد وصل الامر فيها الى نُسب اليها الفضل في بناء "الفرد الرقمي

⁶ - نقلاً عن كتاب رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، مركز قيم للدراسات الثقافية ، الطبعة الاولى 2011 ، ص 89

⁷ - المصدر نفسه ، ص 62

⁸ - المصدر نفسه ، 123

الثوري" المتمرد على كل الايديولوجيات الثقافية والدينية والسياسية والذي تمكن من اسقاط الديكتاتوريات العربية.⁹

وقد اشار جوزيف ناي الى هذه الحقيقة ودور وسائل الاعلام والاتصال ... فقال : ان مصانع هوليوود وبغض النظر عن فسادها وعدم نظافتها فهي اكثر ترويجاً للرموز البصرية للقوة الاميركية الناعمة من جامعة عريقة كجامعة هارفرد ، وذلك أن الامتاع الشعبي للافلام الاميركية - الجنس والعنف والابتذال - كثيراً ما يحتوي على صور ورسائل لا شعورية عن الفردية وحرية الخيار للمستهلك وقيم اخرى لها رسائل سياسية مهمة ومؤثرة. وهذه السلبيات - الجنس والعنف والابتذال - هي ما ياتي بالناس الى شبك التذاكر ودور السينما لحضور ومشاهدة الافلام الاميركية وهي ما يسرق انتباه المشاهدين نحو القنوات والبرامج التلفزيونية الاميركية.¹⁰

وتبدو المسألة ذات خطورة كبيرة إذا ما علمنا الاقبال الواسع من الشباب على الانترنت ووسائل الاعلام والترفيه وما شابه ذلك . وقد جاء في دراسة لمجلة الاكسبرس الفرنسية ان النسبة الكبرى المقدرة (90%) من المتصفحين والمستهلكين لشبكة الانترنت في الشرق الاوسط والمنطقة العربية هم من الشباب والاطفال والمراهقين الذين تتراوح اعمارهم بين 14 و34 عاماً¹¹. وتشير الدراسات الى ان هناك 42000 موقع وصفحة الكترونية عربية على شبكة الانترنت اغلبها مواقع ترفيهية وسياحية وشعرية وغنائية ونسائية وسينمائية ، وان اكثر من (60%) من القنوات والموضوعات التي يبحث عنها المتصفحون ترفيهية وفنية وغنائية وسينمائية¹²....

ان العناوين التي تقدمت هي اهم وابرز عناصر ومقومات الحرب الناعمة وهذا لا يعني عدم وجود عناصر اخرى بل هناك عناصر عديدة ويمكن القول انها كبيرة وغير محدودة باعتبار ان

⁹- ثورات القوة الناعمة في العالم العربي ، علي حرب ، نقلاً عن رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، ص 124

¹⁰- القوة الناعمة ، ص 81-82

¹¹- صحيفة السفير ، العدد 11810 ، نقلاً عن رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، ص 129

¹²- رؤية الامام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة ، ص 129-130

الحرب الناعمة تقوم على اساس الجاذبية لذلك يسعى القائم بالحرب لاستعمال كل ما هو جاذب من دون ان يُحدّ نشاطه بعناوين خاصة .

وهنا وفي اطار الحديث عن عناصر ومقومات الحرب الناعمة ، يمكن طرح السؤال التالي : هل تمتلك امريكا مصادر قوة ناعمة، وهل تستعين بهذا النحو من القوة لتنفيذ مآربها ؟ لو عدنا الى الدراسات التي اعدت في امريكا وفي الكليات المتخصصة لوجدنا ان الامريكي بدأ يسعى بعد انهيار الاتحاد السوفياتي الى السيطرة على الدول والانظمة وتغيير قوايلها الماهوية واستبدال قيمها من خلال ما بدأوا يخططون له تحت عنوان القوة الناعمة . هذا من جهة ومن جهة ثاني فالولايات المتحدة كما يقول جوزيف ناي تمتلك مصادر كثيرة يمكن ان تقدم لها قوة ناعمة محتملة ... واطاف ناي قائلاً : "فاميركا ليست صاحبة اقتصاد في العالم فحسب ، ولكن ما يقرب من نصف اكبر خمس مئة شركة في العالم هي شركات اميركية . اي اكثر بخمسة اضعاف ما لدى اليابان ، التي تحتل بعدها المرتبة التالية . كما ان اثنين وستين بالمئة من اهم العلامات التجارية العالمية اميركية وكذلك ثمان من اكبر عشر مدارس للامعمال التجارية ..."¹³

بالاضافة الى ما ذكر تعمل اميركا على عناوين اخرى تجعلها من المصادر الجذابة للآخرين حيث يعددها ناي :

- الولايات المتحدة تجتذب ما يقرب من ستة اضعاف المهاجرين الاجانب اكثر من المانيا التي تليها.
- الولايات المتحدة اول واكبر مصدر للافلام والبرامج التلفزيونية في العالم .
- هناك 28% من مجموع الطلاب الذين يدرسون خارج بلادهم في امريكا.
- اكثر من 86 الف باحث اجني يقيمون في المؤسسات التعليمية الاميركية (هذا في العام 2000)

- الولايات المتحدة هي الأكثر نشرًا للكتب ... وإلى ما هنالك من العناوين التي يذكرها ناي والتي يعتبرها من أهم المصادر التي ينبغي أن تلجأ إليها أمريكا في تعاملها مع الدول الأخرى¹⁴...

● اوجه الحاجة الى الحرب الناعمة

هل تحتاج الدول او المجموعات الى الحرب الناعمة؟ في الجمل يمكن القول ان الخصائص والمميزات التي تمتاز بها الحرب الناعمة تجعلها أكثر مطلوبة عند الدول والمجموعات التي تحمل اهدافاً خاصة ترغب بالزام الآخرين بها . فعندما نتحدث على سبيل المثال عن العولمة فهذا يعني وجود جهة ترغب في جعل ما تحمله عالمياً اي انها تعمل على الزام الاطراف الأخرى به. وبشكل دقيق تتجلى الحاجة الى الحرب في الامور الآتية:

- 1- الحرب الناعمة لا تحتاج الى المزيد من الانفاق ، لا بل تؤدي الحرب الناعمة في الكثير من الحالات الى الربح وتحصيل المكتسبات فالذي ينتج الافلام السينمائية والذي يسيطر على شبكات الانترنت يدر ارباحاً طائلة ويجعل افكاره نافذة عند الآخرين.
 - 2- الحرب الناعمة جذابة فتقع مقبولة عند الآخرين فلا تحتاج الى عناء وكما يقول جوزيف ناي : الاغراء أكثر جاذبية من الاغام.¹⁵
 - 3- الحرب الناعمة تؤثر بالتأكيد على الآخرين فهي تكبد العدو المفترض خسائر كبيرة.
 - 4- الحرب الناعمة مضمونة النتائج اذ ان الذي يقوم بها سيحصل بالتأكيد على النتائج التي يعمل لاجلها.
 - 5- الحرب الناعمة واسعة غير مؤطرة بعناوين خاصة لذلك يجد القارئ بها ان امامه الكثير من الخيارات وبالتالي يمكنه سد الثغرات والخسائر التي تظهر في مكان ما عبر اللجوء الى عناوين أخرى.¹⁶
- الحرب الناعمة والعولمة

¹⁴ - المصدر نفسه ن ص 62- 64

¹⁵ - القوة الناعمة ، ص 14

¹⁶ - القوة الناعمة ، ص 14- 20

تبرز الحاجة الى دراسة العلاقة بين الحرب الناعمة والعولمة باعتبار ان الذي يمارس حرباً ناعمة يحمل قيماً ويمتلك وسائل وادوات ويمكنه دفع الآخرين نحو القبول بما يريد وبالتالي تحقيق اهدافه . فهل يعتبر هذا العمل نوعاً من جعل الشئ عالمياً ، وهل تندرج الحرب الناعمة في اطار عملية العولمة؟

العولمة هي جعل الشئ على مستوى عالمي ، اي نقله من المحدود المراقب الى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة ... وتتضمن العولمة معنى الغاء حدود الدولة في المجال الاقتصادي والسياسي والثقافي وترك الامور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الارضية جميعها¹⁷ . وهنا لا بد من الاشارة الى مجموعة من النقاط:

1- العولمة فكرة بديلة عن الاستعمار المباشر ، تستخدم القوة الناعمة لفرض رؤية محددة على العالم . وهذا يعني ان من يمتلك رؤى وقيم واهداف معينة يمكنه ايصالها الى الآخرين والزامهم بها عن طريق الجاذبية فيكون ما يحمله عالمياً متجاوزاً للحدود بينما يؤدي الامر الى اقتلاع قيم وثقافة ... الطرف المقابل . ولعل ابرز نموذج على العولمة الواردة بواسطة الحرب الناعمة ، فكرة الليبرالية الغربية التي اصبحت مثلة للنظام العالمي ...

2- تفترض العولمة وجود حالة تراضي بين الطرفين المستهدف والمستهدف وهذا يعني ان الطرف الاول يقدم افكاره بشكل معين بحيث يرضى بها الطرف الآخر ويعتبرها من جملة القيم التي يجب اتباعها والعمل والحق بها. وهذا يعني ان المجتمعات تدخل العولمة باختيارها او لانها لا تمتلك خياراً آخر .

3- ان وجود العولمة وادواتها يجعل صراع الحضارات امراً ضرورياً ، اذ من غير المتصور ان ترسخ كل المجتمعات بما تحمل من قيم للعولمة ، فالبعض سيرسخ والبعض سيرفض . وهنا يبرز الافتراق بين الحرب الناعمة والعولمة اذ ان الطرف الاول في الحرب الناعمة يلجأ الى اساليب ناعمة اخرى وفي العولمة تكون القوة الصلبة هي المساندة الاساسية لفرض مقتضياتها . ولعل الشاهد على ذلك ما نراه فيما يتعلق بفكرة الديمقراطية

¹⁷ - العولمة والتحدي الثقافي ، باسم علي خريسان ، دار الفكر العربي ، ص 19

ونشرها . ألا نشاهد ان الدول الغربية تنعت المخالفين للديمقراطية الغربية بالارهاب والتحجر ... وما شابه ذلك لتقوم في نهاية الامر بالتعامل معهم بالقوة .

● خاتمة

الحرب الناعمة قديمة بقدم البشرية على وجه الأرض إذ من عادة البعض أن يحصل على ما يريد من خلال إظهار الوجوه الجميلة في ما يعرض فينجذب نحوه الآخرون مخدوعين بذاك الجمال الجذاب . لا بل يمكن القول ان الحرب الناعمة واحدة من الأساليب التي يستخدمها إبليس في تعاطيه مع البشر بهدف الإغواء والتزيين والحصول على ما يريد¹⁸ . ولا تتحقق الحرب إلا إذا كان الطرف القابل مستعداً غافلاً عن قيمه وثقافته .. لذلك فإن امتلاك عناصر القوة في الحرب الناعمة وامتلاك وسائلها أمر ميسر وسهل وبسيط ، فالإنسان يبدع الكثير من الأمور الجذابة ، ويبقى أن الصعوبة تكمن في المواجهة . وتبدأ المواجهة من المعرفة بوجود الحرب الناعمة والبحث عن أدواتها ووسائلها وقبل ذلك يلعب التحصين الدور الأساس والاهم في مواجهاتها وبالتالي إيجاد البدائل الدافعة وإيجاد الوسائل والأدوات التي تمكن من المواجهة .

¹⁸ - كيف نواجه الحرب الناعمة ، الشيخ نعيم قاسم ، مركز قيم للدلاسات الثقافية ، ص 11